الغلاف

بقلم : الاستاذ جمال مهدي الهنداوي

قال صاحبي : وخرج « س » على الناس بكتاب جديد في موضوع جديد ، وكنت احسبه موفقاً في اختيار الموضوع، توفيق التاجر المجرّب في اختيار سلعته بالنسبة للسوق وانه سينال ما يستحقه من تقدير القراء .

إلا انه ويا للاسف ، قد خاب بالامل ، ووقف الكتاب عند حد ولم يتوزع منه إلا القليل .

الموضوع جديد وشيق ، واقتصار انتشاره على هذا العدد معناه انه لم يقبل عليه إلا عدد ضئيل من الناس فما علة ذلك .

نقطة تستلفت النظر بجانب هذه السيول الوافدة علينا من الكتب والمجلات الآخذة طريقها دون عارض في الاقبال عليها . وعندما وصلنا في البحث الى ان الحائل دون الاقدام عليه هو غلافه البسيط بالنسبة الى الوان الاغلفة التي نراها اليوم ؛ سكت صاحبي وكانت سكتة استغراب .. !!

والحق معه ان يستغرب ويسكت لان صاحبه بذل جهده في اخراج كتابه ، وما كان ليتصور انه سيلاقي هذا المصير .

قلت لصاحبي : ولِمَ هذا الاستغراب من شيء لابد أن يكون ، نتيجة ابتلائنا بالداء العضال ؛ داء التلذذ بالقشور دون معرفة جواهر الاشياء ،، ؟؟ هذا الداء الذي ابتلينا به بعدوى التوهم بأنه من اسباب المدنية الحديثة ؟؟ وإلا فقل لي بربك ..!!؟ ما الذي اكتسبناه من وراء هذه البهارج التي نجد لها كل يوم صوراً جديدة واشكالا عديدة هنا وهناك ،، وسرت بيننا آثارها سريان الكهرباء .. ؟ وطغت بتأثيرها على كل شيء وصارت شغل البعض الشاغل وكأن ذلك هو كل شيء .. ؟

فقد تمر المرأة فلا يعجبك منها إلا الغلاف ؛ و (رتوش) الغلاف ، واذا كان المار شابا فكذلك ؛ واعوذ بالله اذا كان الامر عكسه ، فتمر عجوز مسكينة أو شيخ كبير أو خلافهما ممن شغلته امور دنياه عن العناية بغلافه ، أقول اعوذ بالله اذا صرفّ أحد هؤلاء، فانه لا يخص من القوم إلا بالتعليقات والهوامش التي لا تتعدى السخرية والازدراء ... لماذا .. ؟؟ الم يكن هو انسانا لا يختلف عنهم من حيث الحقيقة ... ؟؟ الم يكن ذا حق بالتمتع بكل شيء في هذه الحياة كغيره . ؟ الم يكن يمشي على اثنين كأي فرد من جنسه . ؟ لا يا صاحبي لا هذا ولا ذاك . فالمسألة مسألة غلاف . وليكن أحدهم ما يكون ؛ عالماً أو اديباً شاعراً أو ناثراً .

ويمر الحيوان . نعم الحيوان ولعلك تستغرب ، ولكنك طبق ذلك بنفسك لتلمس النتيجة ،، يمر المسكين حراً كان أو مملوكا . والويل له من عذاب القوم الظالمين ، الظالمين للحقيقة والواقع ان كان غير مقبول في غلافه ،، ورحم الله ذلك الجواد المسكين الذي رمى بنفسه في النهر تخلصاً من الفتية الذين كانوا يركبونه لانه كان مشوه الغلاف ، حيث نبذ بعد ان كان في ايامه الخالية مفخرة صاحبه في حلبات السبق .

وهكذا الامر في النبات أو الجماد .

وقد تقتني الحاجة من البائع مثلا ، ولتكن ما تكون فلا تهتم بالدرجة الاولى إلا بالغلاف ، كما لا يعجبك منها لاول وهلة إلا الغلاف ،، ولا تعجب اذا ما أردت أن أؤكد لك في هذا المجال ما قلته وما أشرت اليه ، فان هذا حقيقة واقعة ليس فيها أي مرآء .

وقد تتجول في اوقات فراغك وساعات لهوك ، فلا يعجبك مما تشاهده منها كان باديء ذي بدء إلا الغلاف ؟؟ وقليلون هم اولئك الذين يهمهم أن يتعدوا الى ما وراءه .

أجل يا صاحبي ولقد صار الغلاف مقياساً يقيس فيه الناس اخوانهم الناس الآخرين ، والغلاف قد وصل حداً في مجتمعنا حتى انه صار وحدة القياس في كل شيء تقريباً ، فهو هو المقياس بالنسبة للناس ، وبالنسبة للحيوان ، ثم بالنسبة للنبات أو الجماد وعلته كما ذكرنا ، تلذذنا بالقشور دون الاهتمام بجواهر الاشياء وهي آفة تكاد تكون آفة الشرق على العموم ؛ ولا ريب ان هذه الآفة هي وليدة سوء التوجيه الذي يجب ان ينتبه اليه الموجهون كل الانتباه .

ليس الغلاف يا قاريء الكريم في أي شيء هو كل شيء انما هو الجزء من ذلك الشيء ، والجزء ليس من المعقول ان يساوي الكل في أي حال من الاحوال ؛ ولذلك يجب ان لا نخدع بالغلاف في

٥٩٥